الدخيل في العربية

كثر الكلام على الدخيل في العربية على مر العصور . غير أن كلام القدامى في هذا الموضوع مفتقر الى الدقة والتثبت كما سنرى ، أما المحدثون فقد تهيأ لهم من وسائل البحث ما جعلهم أقرب الى العلم الصحيح منه الى الحدس والظن .

أقول : « ما جعلهم أقرب الى العلم الصحيح » ؟ وأنا أقصد أنه لم يسلك جميع المحدثين النهج العلمي في بحثهم عن هذا الموضوع ، فالمستشرقون مثلاً هم أصحاب النظرية العلمية في علم اللغة التأريخي وعلم اللغة المقارن (١) . وفي تطبيق هذه النظرية يتجلى البحث العلمي الذي ينأى عن أسلوب الحدس والظن ، أما غيرهم من المحدثين ولا سيما بعض الآباء المسيحيين فقد أخذوا بضرب من الهوى للغة الآرامية فحسبوا أن جميع ما في العربيـــة آرامي بالأصالة ثم دخل العربية . وهذا سبيل ينأى عن العلم الصحيح كما سنرى .

وها أنا أعرض للمصنفات في هذا الموضوع مبتدئاً بـ :

(١) كتاب المعرّب من الكلام الأعجمي لأبي منصور موهوب بن أحمد ابن محمد بن الخضر الجواليقي وقد طبع في ليبسيك وفي مصر . والجواليقي في هذا الكتاب يعتمد على أبي عبيدة وابن قتيبة والأزهري وابن دريد وغيرهم . وهؤلاء قد أشاروا الى الفارسي المعرّب إشارات صحيحـــة ،

---

(١) انظر في توضيح هذا الموضوع :

A. Meillet — La Methode Comparative En Linguistique Historique , Paris 1954

A. Meillet — Linguistique Historique et Linguistique Générale

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فأما ما خلا ذلك فلم يكونوا على علم أكيد به ، فقد لهوا في الألفاظ اللون المعرّب فقالوا : أعجمي معرب كالباشق من الطير مثلاً ، وقالوا في « الباسور » : قد تكلمت به العرب ، وأحسب أن أصله معرب كما جاء في معرب الجواليقي . وعبارة « اللسان » : الباسور كالناسور أعجمي داء معروف . و « التاريخ » كما يذكر الجواليقي الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب .

ولم يكن القدامى على علم بأخوات العربية من اللغات السامية فقد ذكر الجواليقي في باب الحاء :

قال مؤرّج : والنبيط تسمى المحبوس المهرزق بالهاء ،

وقال أبو عبيد : حرزقته حبسته ، قال الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربّه بساباط حتى مات وهو محرزق

أقول : لم يعرف القدامى ما خلا العربية من اللغات السامية . فالمراد بالنبيط الآراميون ، والنبطية هي الآرامية عندهم ، وقد يذكرون السريانية وهم لا يميزون بين النبط والآراميين وقد يجهلون الفرق التاريخي في التسمية بـ « السريانية » ، كما أنهم لم يهتدوا الى القرابة بين هذه اللغات وبين العربية وأن كثيراً من المواد اللغوية تدخل في باب المشترك بين هذه اللغات جميعها .

ذكر الجواليقي : قال أبو بكر فأما الديوث فكلمة أحسبها عبرانية أو سريانية .

وذكر : وفي اللسان « ربان السفينة الذي يجريها ويجمع على ربابين . قال أبو منصور : وأظنه دخيلا » . والذي أراه أن الكلمة عربية فقد نص ابن دريد على أن ربان كل شيء أوله .

والربانيون ، قال أبو عبيد : أحسب الكلمة ليست بعربية إنما هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عبرانية أو سريانية ، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين(١) . قال أبو عبيدة وانما عرفها الفقهاء وأهل العلم . قال : وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول : الربانيون العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي .

وذكر : ان السجنجل المرآة بالرومية .

والأمثلة كثيرة على ذلك ، نخرج منها الى ان هذا الصنف من الكتب لا يمكن أن يكون مادة يطمئن اليها الباحث في الأصول اللغوية .

(٢) كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي وقد طبع مراراً في مصر . وطريقة الكتاب ومادته يفتقران الى الدقة العلمية التي تحدثنا عنها ، والكلام عليها كالكلام على المعرب للجواليقي .

(٣) معجمات العربية المطولة كالجمهرة والصحاح ومقاييس اللغة والمجمل واللسان والقاموس والتاج .

---

(١) قد عرفت العرب (الربانيين) وقد وردت في كتابهم العزيز الأول :« كونوا ربانيين »، وعلماء العرب ، غير أبي عبيد الذي حسبها ليست بعربية ، ذهبوا إلى أنها عربية فهذا سيبويه يقول : زادوا ألفاً ونوناً في الرباني اذ أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره كأن معناه صاحب علم الربّ دون غيره من العلوم ، وهو كما يقال : شعراني ولحياني ورقباني إذا خُص بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة ، فاذا نسبوا إلى الشّعَر قالوا شعَري ، وإلى الرقبة قالوا رقبيّ ، وإلى اللحية لحيي ، والرّبيّ منسوب إلى الرب والرباني الموصوف بعلم الرب .

وقال ابن الأعرابي ، الرباني العالم المعلّم الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها وقال محمد بن علي بن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : اليوم مات ربّانيّ هذه الأمة ، وروي عن علي أنه قال : الناس ثلاثة : عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق .

وقال ابن الأثير وهو من علماء العرب : هو منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة ؛ ويعلق ابن منظور على قول أبي عبيد بقوله : وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين ، فقول أبي عبيد ظن وحسبان ، وقول أبي عبيدة من المزاعم المحتاجة الى برهان ، والله أعلم . (لجنة المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٤) في كتاب الإتقان للسيوطي فصل كبير فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب .

(٥) رسالة في تعريب الألفاظ الفارسية لابن كمال باشا طبعت في مصر .

(٦) كتاب التقريب لأصول التعريب للشيخ طاهر الجزائري طبع في مصر .

(٧) كتاب الاشتقاق والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المغربي طبع في مصر .

(٨) كلام على التعريب والمعربات في مقدمة إلياذة هوميروس المترجمة لسليمان البستاني .

(٩) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير طبع في بيروت .

وقد عقب أحد العلماء الإيرانيين على هذا الكتاب فأخذ عليه مآخذ كثيرة .

وهناك تصانيف أخرى اقتصرت على ذكر ما هو آرامي في العربية . وهأنا أورد جملة ما هو مطبوع منها :

(١) كتاب « الدوائر السريانية في لبنان وسورية » للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي الراهب الماروني اللبناني ، والكتاب مطبوع في جونية ، وهو في جزءين صغيرين طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٢ ، والثاني سنة ١٩٠٤ ، وقد اشتمل هذا الكتاب على صغر حجمه على الاستدراكات والتصحيحات والتعقيبات والملحقات وغير ذلك . وهذا الكتاب قد حوى من الكلمات العربية ما ظن البسكنتاوي أنه آرامي وحقيقته من باب المشترك بين اللغتين أو حتى بين أكثر من اللغتين . وسنرجع الى الموضوع نفسه .

(٢) كتاب « اللغات السامية المحكية في سورية ولبنان » لفيليب حتي . وهو رسالة صغيرة تقع في ٤٦ صفحة طبعت في بيروت سنة ١٩٢٢ تناول فيها صاحبها الناحية التاريخية للغات التي كانت في سورية ولبنان منذ أقدم العصور ، كما تناول آثار الآرامية في عامية هذه البلاد وأتى بأمثلة على ذلك .

(٣) الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الجلبي الموصلي وقد طبع في الموصل سنة ١٩٣٥ . وهو كتيب يقع في ٩٠ صفحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٤) مقالات في الألفاظ السريانية الآرامية الدخيلة في العربية للبطريرك أفرام الأول برصوم التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .

(٥) كتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي وقد نشره الأب بطرس ساره في مجلة المشرق في الجزءين الرابع والخامس لسنة ١٩٦٣ ، وهو كتيب يقع في ٤٨ صفحة .

(٦) العربية وشقيقتها السريانية الوفية لمار أغناطيوس يعقوب الثالث وهي مقالة نشرت في الجزء الأول من المجلد الأربعين من مجلة المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٥٦ .

(٧) Siegmond Frankel — Die aramaïschen fremdwörter im arabischen , Leiden 1886 .

(٨) Rudolf Dwôràk — Ueber die fremdwörter im Koran , Wien 1885 .

والذي حفزني الى كتابة هذه المقدمة كل من مقالة مار اغناطيوس يعقوب الثالث المتقدم ذكرها وكتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة . كانت المقالة الأولى مقدمة تاريخية في تشابه الآرامية بالعربية وعرضاً لنواحي التشابه ثم يعقب على هذه المقدمة بقوله : « اننا لن نحاول هنا أن نحاكي بعض من سبقنا الى بحث هذا الموضوع ، بل نبحثه بطريقة مبتكرة ، تاركين الحكم للقارىء الكريم أن يقول كلمته في اللغة التي اقتبست هذه الألفاظ من الأخرى . ولكننا في الوقت نفسه نؤكد جازمين في أن العربية اقتبست من السريانية الألفاظ التالية » . ويبدأ في عرض هذه الألفاظ .

والذي يلوح لي أن هؤلاء الفضلاء قد اندفعوا فبعدوا عن العلم الصحيح ، وإلا كيف تكون الكلمات الآتية سريانية دخلت العربية ولا تكون عبرانية أو بابلية قديمة (اكدية) ، ولِمَ لا تكون من المشترك السامي الذي وجد في كل هذه اللغات ودونك شيئاً من ذلك :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١) ܫܡܫ Chemcha شمس : أقول لِمَ لا تكون هذه الكلمة هي أيضاً שֶׁמֶשׁ العبرانية ، ثم هل تكون هذه الكلمة عبرانية دخلت العربية أو عبرانية دخلت الآرامية أو أننا نرجع الى العلم الصحيح فنقول : إنها كلمة سامية قديمة ، ومما يدل على أصالتها السامية وجودها في هذه اللغات السامية جميعها .

(٢) ܪܝܫܐ Richa راس ، وهي في العبرانية רֹאשׁ : وسبيلنا في هذه الكلمة أيضاً أنها من المشترك بين هذه اللغات .

(٣) ܢܦܫܐ Nafcha نفس ، وهي في العبرانية נֶפֶשׁ : وهي من الموضوع نفسه .

(٤) ܥܪܒ Erab غَرْب ، وهي في العبرانية עֶרֶב : وهي من المشترك بين هذه اللغات .

(٥) ܡܥܪܬܐ Maavta مغارة والمادة العربية هي (غور) في المعنى نفسه ، وفي العبرانية מְעָרָה ، وهي من المواد المهملة كما في :

Gesenius' Hebrew And Chaldee Lexicon.

(٦) ܐܪܥܐ Araa أرض ، وهي في العبرانية אֶרֶץ :فلِمَ لاتكون أرض من العبرانية ، ولِمَ لا يكون الجميع مشيراً إلى الأصل القديم السامي ؟

(٧) ܓܡܠܐ Gamla جمل ، وفي العبرانية גָּמָל .

(٨) ܪܓܠܐ Regla رجل ، وفي العبرانية רֶגֶל .

وأحب أن أقول لقداسة المار أغناطيوس يعقوب الثالث أن العربية أخذت من السريانية كما أخذت من غيرها ، وهذا أمر طبيعي في علم اللغة التاريخي ، ولكن لا بد لنا من أن نسلك في ذلك سبيل التثبيت لتتم الفائدة العلمية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما كتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي المنشور في « المشرق » فهو معجم صغير مرتب على الحروف الهجائية وهو يحوي كل شيء عجب من الخبط والخلط . وصاحبه حاطب ليل ولا أقول أكثر من هذا ، وإلا فكيف يجوز أن يكون « أب » و « أخ » و « أبد » و « أبّال » (راعي الإبل) و « آدَم » و « آخَر » و « أكَل » و « لبَس » من الألفاظ السريانية التي اقتبستها العربية .

ثم كيف يكون « ابريق » و « آجر » من الألفاظ السريانية وقد ثبت أنهما من الفارسي المعرب .

وأستطيع أن أرد المئات من هذه الألفاظ التي اشتمل عليها الكتاب الى الوجه الصحيح والغالب فيها أنها من اللفظ السامي المشترك لوجودها في أكثر اللغات السامية . فهل يمكن أن نقول إنها في جميع هذه اللغات قد جاءت من السريانية ؟ هذا مما لا يصدقه من له اليسير من الاطلاع على هذه الناحية اللغوية التاريخية .

وقد عجبت أن تنشر مجلة المشرق هذه المادة وهي التي قد عرفت بخدمتها الصادقة للثقافة المسيحية . ومن الإنصاف لهذه الثقافة أن تبقى في حيز العلم .

الدكتور ابراهيم السامرائي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net